

الحق في نهج البلاغة

قال الامام علي عليه السلام: (فلا يكن افضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة اوشفاء غيظ، ولكن اطفاء باطل او احياء حق).

الحق يعني: الامر الثابت الصحيح. ويقابله الباطل اي: الشيء الخطأ غير الثابت الوجود.

وبهذا فالحق اطار شامل يتسع لكل قضايا الحياة الفكرية والعلمية. فهناك فكرة حق وفكرة باطل، وكلمة حق وكلمة باطل، وعمل حق وعمل باطل، وموقف حق وموقف باطل.

فالفكرة التي تتوافق مع الواقع هي فكرة حق، والكلمة التي تحكي الواقع هي كلمة حق والعمل الذي ينبثق من الواقع هو عمل حق، والموقف الذي يفرضه واقع الامر هو موقف حق.

ويعبر الامام عن شمولية الحق بقوله: (حق وباطل ولكل اهل).

وعلى الانسان ان يتبع الحق في كل شيء فكريا وعمليا، فلا يسمح لنفسه باعتناق الفكرة الباطلة او التفوه بالكلمة الباطلة او ممارسة العمل الباطل.. لأنه حينئذ يخدع نفسه ويضلها ويظلمها... ولأنه سيصطدم بالأمر الواقع الثابت فالكفار حينما خدعوا أنفسهم واعتقدوا بعدم وجود بعث وحساب وعقاب، لم تغير عقيدتهم الباطلة واقع الحق، بل وجدوا انفسهم فجأة امام الامر الواقع ولم يسعهم حينئذ الا الخضوع والاعتراف ولكن بعد فوات الاوان. يقول القرآن الحكيم: (ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق؟ قالوا: بلى وربنا. قال: فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون). (الاحقاف/ ٣٤)

والغربيون استمروا فترة طويلة وهم يعارضون تطبيق حكم الاعدام على القاتل، ظانين ان في السجن المؤبد عقوبة رادعة تكفي عن الاعدام القاسي، ولكنهم اخيرا استسلموا امام الواقع وثبت لديهم ان في القصاص حياة، وان القتل انفي للقتل، ومن جديد ارتفعت في الغرب نداءات الرجوع الى حكم الواقع، ونفذ اول حكم بالإعدام على القاتل من فترة قريبة. وفي هذا المجال يقول الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة: (من صارع الحق صرعه). (من ابدى صفحته للحق هلك). (وانه لن يغنيك عن الحق شيء ابدأ).

ما هو مقياس الحق!

لعل اكثر الناس يرغبون في اتباع الحق ويحبون الالتزام به، ولكن المشكلة تمكن في طريقة التعرف على الحق وتشخيص موافقه.

فالكثرة الغالبة من الناس تستعمل مقاييس خاطئة للتوصل الى الحق، فتوصلهم الى الباطل بينما يعتقدون في انفسهم انهم على الحق وانهم يجسدون موافقه، وهؤلاء يصفهم القرآن بأنهم أفشل الناس وأخسرهم اعمالا. يقول تعالى: (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) (الكهف / ١٠٤).

وحيثما يتحدث الامام علي عن مشكلة الخوارج يشخصها بخطنهم في استعمال المقاييس الموصلة الى الحق رغم محبتهم لاتباع الحق يقول عليه (لا تقاتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فاخطأه كمن طلب الباطل فادركه).

والآن ما هو مقياس الحق عند الامام علي؟.

هل المقياس كثرة الاصوات والاتباع؟ كما يظن اكثر الناس حيث يستدلون باتجاه غالبية الناس وميلهم الى امر ما على احقية ذلك الامر.

ان القرآن الكريم يرفض هذا المقياس ويقول: (واكثرهم للحق كارهون). (وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين). (ان تتبع اكثر من في الارض يضلوك).

ويقول الامام علي: لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة اهله.

وفي كلماته التي ودع بها اباذر الغفاري يقول عليه السلام: لا يوحشك الا الباطل ولا يؤنسك الا الحق

وهل المقياس هورأي شخصيات المجتمع وكبار القوم؟

فاذا اردنا ان نعرف موقف الحق في قضية ما فعلينا ان نرجع الى كبار الجماعة وشخصيات الامة، ورأيهم حينئذ هو الحق الاكيد؟!.

ان هذا المقياس هو الآخر خاطيء، لاحتمال جهل هؤلاء الشخصيات بموقف الحق وانحرافهم عنه، فيقودنا اتباعهم الى جحيم الضلال والعذاب ويجسد القرآن لنا هذه الحقيقة بقوله تعالى: (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الرسولا.

وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا). (الاحزاب/٦٦-٦٧)

وقد عانى الامام علي نفسه من هذه المشكلة في صراعه مع طلحة والزبير وعائشة والذين كانوا يمثلون كبار الامة وشخصياتها ولكن موقفهم لم يكن مطابقا للحق، ورغم ذلك فقد انخدع بهم كثير من الناس وشكك آخرون، لانهم لم يملكوا المقياس الواقعي للحق، بل اعتبروا هؤلاء مقياسا لمعرفة الحق.

في نهج البلاغة ان الحارث بن حوظ جاء الى الامام علي عليه السلام قاتلا: اتراني اظن اصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟ فقال الامام: (يا حارث انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت. انك لم تعرف الحق فتعرف من اتاه ولم تعرف الباطل فتعرف من اتاه) .

فهل المقياس اذا سيرة الآباء والاجداد؟ حيث يقلد الشباب آباءه ويسير على طريقتهم كما هو حال اكثرية الناس فاذا ولد من ابوين مسلمين اصبح مسلما، أو يهوديا أصبح يهوديا أو مسيحيا أو سيخيا.

إن هذا المقياس هو مقياس تافه يعطل لدى الانسان تفكيره وحرية. ولقد ندد القرآن بهذا النوع من التقليد الأعمى، وسخر من أتباعه الذين يقولون: (انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون) .

وهذا الامام علي بن ابي طالب عليه السلام في نهج البلاغة يذكرنا بأن الطليعة المؤمنة في صدر الاسلام ليس فقط خالفت آراء آباءها وانما كافحت وناضلت ضدها يقول: (ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وابنائنا واخواننا واعمامنا ما يزيدنا ذلك الا إيمانا وتسليما) .

وإذا لم يكن مقياس الحق هورأي الاكثرية، ولا موقف الشخصيات ولا سيرة الآباء والاجداد فما هو المقياس اذا؟

ان مقياس الحق شينين :

الاول: العقل

والذي منحه الله للانسان حتى يفكر به ويهتدي بضونه الى طريق الحق، ولذلك حث القرآن الكريم الناس على استعمال عقولهم والتفكير بها للوصول الى الحق.

فيقول للمشككين في صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله: (قل انما اعظمكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى).

الثاني: الوحي

وهل يوحي الله لعباده غير الحق أو يأمرهم بالباطل؟

انه لا ينبغي للانسان ان يشك في ان امر الدين ورأيه هو الحق الصحيح الذي لا جدال فيه يقول تعالى: (الحق من ربك فلا تكونن من الممترين).

وفي آية اخرى يقول: (يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم).

وفي نهج البلاغة يكثر الامام ويكرر وصف النبي صلى الله عليه وآله بالهداية الى الحق وبيان الهدف من بعثته هو تبين الحق للناس.

يقول عليه السلام: (ان الله بعث محمدا بالحق حين دنا من الدنيا الانقطاع واقبل من الآخرة الاطلاع).

وقال عليه السلام: (وأرسله بأمره صادعا، ويذكره ناطقا فأدى امينا، ومضى رشيدا وخلف فينا راية الحق).

البحث عن الحق واتباعه

فيجب على الانسان ان يفتش عن الحق ويبحث عنه ازاء اي قضية او امر مستخدما المقياس الصحيح للتعرف على الحق، ولو كلفه ذلك جهودا وعناء، يقول الامام عليه السلام: (وخض الغمرات للحق حيث كان).

ففي بعض الاحيان يغلف الباطل بغلاف الحق، ويلبس مسوحه، وهو ما نعاني منه في وقتنا الحاضر حيث ترتفع شعارات الحق بمختلف العناوين والمظاهر كشعار الوحدة والحرية والعدالة والتقدم، ولا شك ان هدف هذه الشعارات بذاتها هدف حق ولكن من يرفعها انما يستغلها من اجل الباطل. فعلى الانسان ان يكون ذكيا واعيا لا تخدعه الشعارات ولا تغره المظاهر.

ويلفتنا الامام الى هذه الحقيقة الهامة (استغلال الشعارات) حينما سمع شعار الخوارج: لا حكم الا لله. وهل يوجد مسلم يعترض على هذا الشعار او يناقش فيه. لذا قال الامام: (كلمة حق يراد بها باطل).

والاخطر من ذلك ان يمزج الحق بشيء من الباطل، او تطعم قضية باطلة بشيء من الحق، فهناك يسهل الانخداع ويمكن التضليل الا للواعي الذي يستطيع ان يشرح القضية ويكتشف الباطل فيها.

فمثلا: رياضة الجسم وتقوية عضلات امر حق، ولكن صرف هذا المقدار الطائل من الاوقات والجهود والاهتمام بالرياضة وبالشكل المعروف حاليا هذا امر باطل. ولكنهما امران ممتزجان ولذلك امكن استقطاب الناس وانخداعهم.

وقد نبه الامام عليه السلام الى هذه الظاهرة الخطيرة بقوله: (فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين، ولو ان الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان، فهناك يستولي الشيطان على اوليائه وينجو (الذين سبقتم لهم من الله الحسنى)).

ويقال ايضا: (وانما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق).

فاذا عرف الانسان الحق، وجب عليه اتباعه والتزام موقفه، وان كان ذلك يتعارض مع مصالحه واهوانه. وهنا تكمن مشكلة الحق في انه يتعارض غالبا مع انانية الانسان واهوانه، مما يجعل الانسان يفارق موقف الحق ويتبع الباطل إشباعا لشهواته وغرائزه.

يقول الامام علي عليه السلام: (ان الحق ثقيل مريء وان الباطل خفيف وبيء).

ويقول ايضا: (ان افضل الناس عند الله من كان العمل بالحق احب اليه وان نقصه وكرهه، من الباطل وان جر اليه فائدة وزاده).

نستخلص مما سبق ان مسؤوليتنا تجاه الحق تتلخص في النقاط التالية:

- ١- البحث عن الحق (وخوض الغمرات للحق حيث كان) .
- ٢- اتباع الحق (ان افضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحب اليه..).
- ٣- الوقوف الى جانب الحق وفي جبهته، فلا يصح للانسان ان يقف موقف المتفرج من صراع الحق والباطل. بل يجب عليه ان يدخل المعرفة الى جانب الحق. والا تحمل مسؤولية خذلان الحق وانهازمه. يقول "عليه السلام" في الذين اعتزلوا القتال معه ضد الباطل: خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل:
- واذا انتصر الباطل فهل سيسلم المتفرجون منه، وهل سيتركهم الباطل يمارسون الحق بحريتهم؟ كلا. يقول الامام: (لولم تتخاذلوا عن نصر الحق، ولم تهنوا عن توهين الباطل، لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، ولم يقوم قوي عليكم).
- ٤- العمل من اجل الحق حيث يكرس الانسان حياته من اجل احقاق الحق ومقاومة الباطل. يقول الامام: (فلا يكن افضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة اوشفاء غيظ ولكن اطفاء باطل او احياء حق).
- وما الشهادة والمنصب والامتيازات الا وسائل تعين الفرد على تحقيق اهداف الحق. اما اذا تحولت هذه الوسائل الى اهداف بحد ذاتها فقد خسر الانسان حياته.
- قال عبد الله بن عباس دخلت على امير المؤمنين بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي: (ما قيمة هذا النعل؟)، فقلت: لا قيمة لها! فقال لي: (والله لهي احب الي من امرتكم الا ان اقيم حقا او ادفع باطلا).